كتاب أخبار الدولة العامرية لابن حيان: دراسة في المحتوى والمنهج

The Book "Akhbar al-Dawla al-'Amriya": a study of the content and method

المؤلف المرسل للمقال: دة. هاجر بوباية - BOUBAYA Hadjer صص97- 115
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة في التعليم الثانوي وباحثة في مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1- الجزائر/البريد الإلكتروني: hboubaya1987@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2020/06/07 تاريخ المراجعة: 2020/07/05 تاريخ القبول: 2020/07/16

ملخص: يعتبر كتاب أخبار الدولة العامرية من أهم مؤلفات ابن حيان، ويعدّ المصدر الرئيس لتأريخ هذه الدولة التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399هـ/976- 1008م، وقد ورد ذكره عند المؤرخين القدامى والمحدثين، وإن كان هؤلاء قد أجمعوا على موضوعه؛ فإنهم اختلفوا في كونه قسمًا من "التاريخ الكبير" لابن حيان أو أنه كتاب مستقل عنه، غير أن ابن الأبار وفّر علينا مؤونة البحث والتخمين، وترك لنا الخيار بين ضمّه أو خزله من كتاب "التاريخ الكبير".

تضمّن كتاب "أخبار الدولة العامرية" الأحداث التي وقعت بالأندلس في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم، إلى غاية قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن شنجول ابن أبي عامر المنصور سنة 399هـ/1008م، كما تضمن الكتاب كذلك معلومات انفرد بها ابن حيان عن غيره.

الكلمات المفتاحية: أخبار الدولة العامرية؛ ابن حيان؛ الأندلس؛ التاريخ الكبير؛ هشام المؤيد؛ ابن أبي عامر المنصور؛ عبد الرحمن شنجول.

Abstract: the book "Akhbar al-Dawla al-Amriya" is considered to be one of the most important works of Ibn Hayyan, and it is considered the main source for the history of this country that ruled Andalusia between the years 366 and 399 AH / 976-1008 A.D. It was mentioned by ancient historians and modernists, even though these had unanimously agreed on its subject; They differed in that it was part of "The Great History" by Ibn Hayyan or that it was a separate book of it, but Ibn Al-Abbar provided us with the supplies of research and speculation, and left us the choice between including it or reducing it from the book "The Great History"

The book "Akhbar al-Dawla al-Amriya" included the events that took place in Andalusia in the period extending from the death of Al-Hakam Al-Mustansir Billah in 366 AH / 976 CE, and his son Hisham Al-Moayad' Billah ascending the reign of power until the rise of Muhammad bin Hisham bin Abdul-Jabbar after killing Abdul Rahman Shanjul Ibn Abi Amer Al-Mansour in 399 AH/ 1008AD, and the book also included information that Ibn Hayyan was the unique historian who gave us.
Keywords: Akhbar al-Dawla al-Amriya; Ibn Hayyan; Andalusia; The Great History; Hisham Al-Moayad; Ibn Abi Amer Al-Mansour; Abdul Rahman Shanjul.

مقدمة: شهد القرنان الرابع والخامس الهجريان (العاشر والحادي عشر الميلاديان)- أي عصري الخلافة وملوك الطوائف- وصول الحضارة الأندلسية إلى أوّج ازدهارها في شتى المجالات، ومنها العلمية حيث شهدت حواضر الأندلس، مثل قرطبة على عهد الخلافة والدولة العامرية، وإشبيلية ومالقة وطليطلة والمرية على عهد ملوك الطوائف بروز العديد من العلماء، وبخاصة في علم التاريخ، ويأتي في صدارة هؤلاء المؤرخين ابن حيان القرطبي الذي يعدّه الكثيرون ممن ترجموه أعظم مؤرخي الأندلس، ويعتبرونه حامل لواء التاريخ في الأندلس.

ألف ابن حيان عدة كتب خصّصها لتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى تاريخ وفاته، وغطت هذه المؤلفات خمسة قرون من الأحداث التي عاشها المسلمون في هذه البلاد، وأغلب هذه المؤلفات تعد في عداد المصادر المفقودة إذا استثنيا بعض الأجزاء من كتاب المقتبس، ويعود الفضل في بقاء الكتب المفقودة إلى المؤرخين والكتاب الذي نقلوا مادتها، وبالتالي حفظوها لنا من الاندثار، ومنها كتاب "أخبار الدولة العامرية" الذي أفرده ابن حيان لتأريخ ثلاثة حجاب ينتمون إلى أسرة العامريين؛ الذين حجبوا الخليفة الرسمي هشام المؤيد بالله، وحكموا الأندلس طيلة الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، أي من سنة 366 إلى 399هـ/976- 1008م؛ فما هي أسس ومبادئ الكتابة التاريخية عند ابن حيان؟ وما هي حقيقة كتاب أخبار الدولة العامرية؟ وما هي محتوياته؟ وما هي مصادر ابن حيان في هذا الكتاب؟ وما هي منهجية ابن حيان فيه؟ وما هي القيمة العلمية للكتاب (الجغرافية- السياسية- الاقتصادية- الاجتماعية- الدينية)، تلك هي بعض التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المقالة.

1- أسس ومبادئ الكتابة التاريخية عند ابن حيان: كانت قرطبة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أحد أعظم مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي، وأضحت

جامعتها الشهيرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إحدى أعظم جامعات الأندلس قاطبة؛ فاستفاد ابن حيان من هذا الجو العلمي سواء الذي وفره له والده، أو الكفاءات العلمية المتوافرة في قرطبة؛ فانكبّ على دراسة الحديث والأدب واللغة، وبرع في الأدب والرواية حتى غدا أحد أعلامها ومحققيها، وكانت نشأته في أسرة ميسورة الحال ترتبط بالأوساط العليا في قرطبة تتيح له الاطلاع على أفضل ما في مكتبات قرطبة، خصوصًا المكتبة الملحقة بقصر الخلافة، كبرى مكتبات العالم آنذاك، والتي لم تقارن إلا بمكتبتي بغداد والقاهرة.

والخلاصة أن الفكر التاريخي قد ازدهر إبان تلك الحقبة التي شهدت العصر الذهبي في تاريخ الفكر الإسلامي، وخير نموذج على ذلك هو ابن حَيَّان القرطبي حامل لواء التاريخ في الأندلس.

ذكر محمود علي مكي أن ابن حيان اختصّ عن بعض العلماء بالرواية لمنزلة أبيه كوزير، ولم يكن هو الوحيد في بيوتات الشرف وأهل الخدمة ممن مال إلى اللغة والأدب؛ فقد شاركه غيره؛ ولم ينل ما ناله من تقديم في السماع، لذا يرجّح أن همّته هي التي قدمته على مشايخه، وتحول بعدها إلى مجال التاريخ، وحمل على كتفه أعباءه، كما قال في مقدمة تاريخه الكبير: "فإني امرؤ يسرت لطلب هذا الخبر، واقتفاء هذا الأثر، أحرس شارده، وأقيد نافره، وأبيتُ بأبوابه، وأنصب لطلابه، فشُغِلت به دهرا، وفجرت منه نهرا، صيّرني تِربًا لعدنان، وزِماما على الحَدَثان، أقصُّ أنباءه، وأضرب أمثاله، وأحصي وقائعه، واحترز مواعظه"[1].

كما أن ابن حيان قد تخصّص في التأريخ لبلده وحضارتها وسير ملوكها ورجالاتها؛ حيث ارتكزت كتاباته على الأندلس؛ وما مرّت به من أحداث منذ فتحها سنة91هـ/711م؛ وحتى عصر الطوائف، لذلك اعتبر أحد أكبر مؤرخي الأندلس، خصوصًا أن مؤرخي الأندلس اللاحقين لم ينسجوا على منواله، وينهجوا نهجه، واكتفوا بالكتب الإقليمية الضيقة؛ فلم يضطلع أحد منهم بكتابة موسوعة مثل موسوعته إذا استثنينا لسان الدين ابن الخطيب مؤلف كتابي الإحاطة في أخبار غرناطة وأعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

لقد شهدت تآليفه على نبوغه وتفوقه في الميدان التاريخي، وأكّد على هذا ابن خلدون في افتتاحية مقدمته الشهيرة، عندما ذكر المؤرخين الأوائل كابن إسحاق والطبري والواقدي والمسعودي حيث؛ قال: "وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في

العموم والإحاطة عن الشأو البعيد؛ فقيّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على أحاديث دولته ومصره، كما فعل ابن حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها"[2].

وذهب محمود علي مكي إلى أنه أخذ ميله للتأريخ عن أبيه خلف بن حسين[3]، وهذا في نظرنا أقرب للصواب لما له من تأثير على تكوينه في الجانب التأريخي، ومما يؤكد هذا أهمية النقول التاريخية الهامة التي أخذها عن والده؛ وبالخصوص عن الدولة العامرية كون والده كان كاتبا للمنصور ابن أبي عامر، وكاتم أسراره ومستودع أفكاره؛ حيث نجد في أكثر الصفحات التي كتبها أبو مروان عبارة "أخبرني أبي خلف بن حسين".

كما ذهب هذا المذهب أيضا مصطفى الشكعة؛ الذي ذكر أن خلف بن حسين حرص على أن يورث لولده علما قد استقر في خاطره، وقد تقلد بعض المناصب، وعاين المحن التي يتعرض لها من هم قريبون من السلطان، وأن العالم أخلد في التاريخ من منصب الحاكم، بخاصة إذا كان العالم مبرزا في ميدانه؛ متفوقا على أقرانه[4].

كان لكثرة مطالعاته التاريخية أن تجنب الروايات الخرافية والأسطورية، ولم يوجد ذلك في كتاباته؛ مما كوّن وعيا تاريخيا ناقدا لديه، ومكّنه من أن يصور ما وُجد في البلاط الأندلسي من دسائس وفتن بين الحجاب والوزراء تصويرًا نقديًا لا يعتمد على القص فقط.

2- كتاب الدولة العامرية: يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات ابن حيان، وقد ورد ذكره عند المؤرخين القدامى والمحدثين؛ وإن كان هؤلاء قد أجمعوا على موضوعه؛ فإنهم اختلفوا في كونه قسما من التاريخ الكبير لابن حيان؛ أو أنه كتاب مستقل عنه.

يؤكد المؤرخون القدامى وجود هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن حيان إلا أنهم اختلفوا حول استقلاليته أو تبعيته لمؤلف آخر قائم بذاته، ومنهم:

ابن الأبار القضاعي الذي ذكر في الحلّة السيراء أن هذا الكتاب اختزال لكتاب "التاريخ الكبير " لابن حيان، ويحتمل أن يكون مضموما إليه لا مختزلا[5]، ولقد اتفق من كتبوا عن ابن حيان على أن تاريخه الكبير يتألف من "المقتبس" و"المتين"[6]، واختلفوا في نسبة كتاب "أخبار الدولة العامرية" لأي منهما، غير أن ابن الأبار وفّر علينا مؤونة البحث والاجتهاد، حيث أورد لنا إيضاحا عظيم القيمة فيه تفسير لهذا الاضطراب الواقع بين المؤرخين، إذ قال عند تعرّضه لغزوات المنصور ابن أبي عامر: "وغزواته في كل صائفة متصلة أزيد من خمسين، عدّها ابن حيان في كتابه الموضوع في أخبار الدولة العامرية، وجعله لمن شاء خزله عن تاريخه الكبير أو ضمّه إليه"[7]، وما يزيدنا تأكيدا أنه مستقل هو الخبر الذي أورده ابن الأبار

في الحلّة السيراء عند تعرضه لترجمة زياد بن أفلح التي نقلها عن ابن حيان حيث قال: "ذكر ذلك ابن حيان في تاريخه الكبير، وذكر في الدولة العامرية أنّه كان على المدينة"[8]، وهو ما يؤكد أن ابن حيان أفرد كتابا لذكر أخبار الدولة العامرية، وقد وهم المحقق عندما علّق على خبر هذا الكتاب بقوله: "إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية؛ وهو المعروف بالبطشة الكبرى[9].

وذكره أيضا في إعتاب الكتاب عند حديثه عن خلف بن حسين بن حيان فقال: "ذكر هذه الحكاية ابنه أبو مروان في أخبار الدولة العامرية من تأليفه"[10]، وهو تأكيد على تأليف ابن حيان لكتاب خاص بأخبار العامريين.

وذكره عبد الواحد المراكشي عند تعرضه لغزوات المنصور ابن أبي عامر؛ حيث قال: "غزا في أيام مملكته نيفا وخمسين غزوة، ذكرها أبو مروان ابن حيان كلها في كتابه الذي سمّاه المآثر العامرية"[11]، وهو إذ يوافق بقية المؤرخين في كونه كتابا خاصا بالمنصور بن أبي عامر وأبنائه إلا أنه يُخالفهم في عنوانه، ويبدو أنه خلط فيه بين كتاب "أخبار الدولة العامرية"، وكتابا آخر بهذا العنوان لحسين ابن عاصم[12]، وهو الكتاب الذي نوّه به ابن حزم ضمن رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها حيث قال: "وكتاب المآثر العامرية لحسين بن عاصم في سير ابن أبي عامر وأخباره"[13]، ولعلّه وهم من عبد الواحد المراكشي الذي ألف كتابه في المشرق بعيدا عن كتبه؛ واعتمادا على ذاكرته كما قال محمود علي مكي[14].

وذكر لسان الدين ابن الخطيب هذا الكتاب مرتين، الأولى حين قال عند إيراد أسماء المُبايعين لهشام المؤيد بالله: "قال ابن حيان في الدولة العامرية"[15]، والثانية حين أكّد على وجود هذا الكتاب بقوله: "ذكر أبو مروان حيان بن خلف في كتابه الذي أنافت على المائة أسفاره المسمى بأخبار الدولة العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة"[16]، والظاهر أنّ هذا هو العنوان الكامل للكتاب؛ فقد كان ابن حيان يميل إلى هذه العناوين الطويلة المفصلة كما يقول محقق كتاب المقتبس[17]، ومن جهتنا نميل كذلك إلى كون هذا العنوان هو العنوان التام للكتاب، وبأنه جامع ودال على كل محتوياته؛ والذي يُطابق تطور الأحداث التي يؤرخ لها ابن حيان.

وصف ابن الخطيب الكتاب بأنه يقع في مائة سفر، ويبدو أن ذلك يتوقف على مفهوم ابن الخطيب للفظ "سفر"، وقد يكون كراسة أو ملزمة[18].

ويؤكد أبو العباس المقري نسبة الكتاب إلى ابن حيان حيث يقول: "وأما المنصور فقد ذكره- ابن حيان- في كتابه المخصوص بالدولة العامرية"[19].

كما ذكر بونس بويغس أن لابن حيان كتابا بعنوان "أخبار الدولة العامرية"، وقد ذكره ابن الأبار والمقري، ويدور موضوعه حول تاريخ المنصور وأسرته، وذكر أيضا أن ابن عاصم ألف كتابا بنفس العنوان[20]، وإنْ خالفه آنخل بالنثيا حين قال: "أما كتب ابن حيان التي صحّت نسبتها إليه؛ فقد ضاع معظمها، ومن هذه الكتب "المآثر العامرية"[21]، والأكيد أنه اقتبس ذلك من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

تقول ماريا لويزا آبيلا: "يمكن إدراج هذا المقطع- تقصد أخبار الدولة العامرية- ضمن الصفحات التي خصّصها ابن عذاري لابن أبي عامر، في مقابل تلك التي تتعلق منطقيا بهشام، ونعتقد أن هذا النص مأخوذ من كتاب أخبار الدولة العامرية لابن حيان، فرضية يؤكدها ذلك النص الذي أورده ابن الخطيب؛ واستنسخ نصّ هذه الفقرة تقريبا، وقدّم لها على النحو التالي: "يقول ابن حيان في الدولة العامرية"، ويبدو أن ذلك يشير إلى أن أحداث عهد هشام الثاني تمّ تضمينها بداية من مراسم البيعة في العمل المكرّس للعامريين، وإذا قبلنا نظرية الأستاذ شالميطا التي تقول إن الأعمال التاريخية لابن حيان: المقتبس، أخبار الدولة العامرية، المتين والبطشة الكبرى تشكل كتابا واحدا مقسما إلى عدة أجزاء تحترم التسلسل الزمني؛ فإن أخبار الدولة العامرية ستشكل المجلدات الثامن والتاسع والعاشر، وليس فقط التاسع والعاشر كما يقول شالميطا[22].

3- محتويات كتاب "أخبار الدولة العامرية": بغض النظر عن كون كتاب أخبار الدولة العامرية كتابا مستقلا أو هو كتاب تابع للمتين الذي ألفه ابن حيان، واعتمد فيه على ما عايشه من أحداث الأندلس؛ فإن كل المؤرخين متفقون على أنه خصّص هذا الكتاب لتأريخ الدولة العامرية التي نشأ وترعرع في كنفها (377- 399هـ/987- 1008م)، وكان والده كاتبا لمحمد بن أبي عامر مؤسسها، ومرافقا له في غزواته التي نيفت على ست وخمسين غزوة، وهو ما مكنه من استيقاء معلوماته؛ إما من خلال روايات والده أو من خلال الوثائق المحفوظة في القصر الخلافي التي أمكنه الإطلاع عليها، وإيرادها في كتابه أو الانتفاع بها في تدوين ما كتب عن أخبارها؛ فما هي محتويات كتاب أخبار الدولة العامرية؟

تضمّن الكتاب الأحداث التي وقعت بالأندلس في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم؛ وهو لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم، إلى قيام محمد بن هشام بن عبد الجبّار على عبد الرحمن شنجول بن محمد بن أبي عامر المنصور سنة 399هـ/1008م، وهو الحدث الذي سيدخل العدوة الأندلسية في أتون فتنة كانت سببا في تفكك وحدة الأندلس، وظهور ما عُرف بممالك

الطوائف، ومع ذلك نجد نفس المؤرخين الذين ينقلون عنه أخبار الأسرة العامرية ينسبون هذه الأخبار إلى غير هذا الكتاب، ومن ذلك ابن الخطيب الذي ينقل فقرة طويلة عن أيام عبد الملك المظفر بن محمد بن أبي عامر المنصور يقول في بدايتها: "قال أبو مروان في الكتاب المتين"[23]، وينقل ثانية فقرة أخرى تتضمن تعليق ابن حيان عن القران الفلكي الواقع سنة 397هـ/1006م، وإرجاف الناس به وتطيّرهم منه، وتأويلهم له بقرب وقوع فتنة مدمرة؛ إذ يسبقه بقوله: "قال أبو مروان في المتين"[24]، وإن كان هذا لا يغير رأينا من أن ابن حيان قد أفرد كتابا للدولة العامرية رغم هذا التضارب الوارد عن المؤرخين الذين اقتبسوا منه، ووقع لهم الالتباس حول حقيقة هذا المؤلف؛ فنقلوا عنه، لكنهم نسبوا ما اقتبسوه منه لكتاب المتين، إذ الأجدر أن يكون لكتاب أخبار الدولة العامرية.

وفيما يلي أبرز محتويات هذا المؤلف:

3-1- هشام المُؤيَّد بالله بن الحَكَم: خصّص له المؤلف فيما وجدنا من اقتباسات 2140 كلمة أي بنسبة 06,39% من مُجمل الكتاب؛ حيث ذكر في الفقرة الأولى إفراط الحَكم المستنصر بالله في حبّ ولده، وتوريثه الملك في سن الصبا، كما خصّص له فقرة أكبر انفرد بها عن بقية المؤرخين، وتتمثل في ذكر أسماء الشهود الحاضرين بَيْعَة هشام المؤيد بالله؛ مع إيراد وظيفة كل واحد منهم، وأغلبهم من القُضاة والمُشاوَرين، بلغ عددهم مائة وأربعين (140) شاهدًا، وتضمّن هذا النص الطويل 2005 كلمة؛ مع ملاحظة أن الباحث وراد الذي ضمّن هذه القائمة في أطروحته لم يُعرّف سوى بخمسة من الشهود، واكتفى بذكر أسماء البقية دون تعريف، مع الإشارة إلى وجود ثلاثة أسماء مكررة، ووجود أخطاء في أسماء البعض؛ إضافة إلى إيراد اسم شاهد لم يَعِش في الأندلس البتّة.

3-2- أخبار المنصور محمد بن أبي عامر: أفرده ابن حيان بالحصة الأكبر من مؤلفه؛ حيث بلغ عدد كلمات نصوصه 21129 كلمة أي بنسبة 59,90% من مجمل الكتاب، تضمنت ذكر نسب وخِصال ونَباهة المنصور ابن أبي عامر، وهو ما لم يذكره الباحث ورّاد في أطروحته، وذِكر خبر بِدايات المنصور بن أبي عامر، واتّصاله بخدمة الحكم المستنصر، وتكتّم الصقالبة على وفاة الخليفة الأموي، وكيفية وصول ابن أبي عامر إلى التمكّن، وتآمر صاحب المدينة زياد بن أفلح عليه، الذي لم يرد عند الباحث ورّاد، وذكر تَوَلّي المنصور ابن أبي عامر للحجابة، وقيامه بالجهاد دون الجماعة، وتوصله بذلك إلى تدبير الملك، ولم يورده الباحث ورّاد، وذِكر جُود المنصور بن أبي عامر، وخبر مُظاهرة غالب لمحمد بن أبي عامر على المُصْحفي إلى أنْ أسقطه، وذِكر خبر زيادة المنصور في المسجد الجامع بقرطبة، وبُنْيان قنطرة

على نهر قرطبة الأعظم، وقنطرة أخرى على نهر إستيجة، وإيجاز الخبر عن أسر غَرْسِيَة، وذكر خبر الوَحْشة بين ابن أبي عامر والخليفة هشام، وذكر الأقوال المُغْرِضة في المنصور بن أبي عامر وهشام المؤيّد بالله وأمّه صُبْح البشكنسية.

ذكر غزوات المنصور بن أبي عامر بتمامها، وقد بلغ عددها ستا وخمسين غزوة انتصر فيها كلها، إذ تمثل أطول نص في الكتاب حيث تضمنت 8364 كلمة؛ كما ذكر دهاء وعزم المنصور بن أبي عامر، وخبر تنبؤ الحاجب العامري بهدم الزاهرة، كما ذكر مجلس المنصور ابن أبي عامر مع وزيره عيسى بن سعيد القطاع، وذكر الشنآن[25] الذي وقع بينه وبين القاضي ابن السليم.

أورد ابن حيان في كتابه أخبار المنصور بن أبي عامر مع البربر، وفصّل في الصراع الذي دار بين حكام الأندلس ومُناوِئيهم في المغرب الأقصى، وبخاصة منهم الأدارسة وقبائل زناتة، وتضمن ذلك النص الطويل الذي اقتبسه مؤلف مفاخر البربر 4869 كلمة، وهو النص الذي لم يُثبت منه الباحث ورّاد في أطروحته أي كلمة، واكْتفَى بذكر انتكاث زيري بن عطية المغراوي (389-397هـ/999-1006م) على المنصور بن أبي عامر، أي 241 كلمة نقلا عن ابن عذاري.

احتوى الجزء المُخصّص للمنصور أيضا ذكر الوزير أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ونكبته، وخبر المنصور بن أبي عامر مع عبد الملك ابن إدريس، وخبره مع كاتبه خلف بن حسين بن حيان، وقصة الجوهري المشرقي معه، وخبر إبراهيم بن إدريس الحسني مع ابن أبي عامر، كما ذكر الجباية وعِدّة الجند وأنواع السلاح على عهده، كما عدّد أرباض مدينة قرطبة، وذكر عِدَّة المساجد والحَمّامات والفِتْيان العامِريين وأسمائهم، وذكر أحْمال الحَطَب الدّاخل إلى قرطبة في عهد حاجب هشام المؤيّد بالله.

ذكر المؤلف أيضا خبر وفاة المنصور، ووصيته لابنه عبد الملك ولغِلمانه وطوائف جنده، وذكر مدة حجابته، وخبر سهره على أمور دولته، وختم المؤلف كتابه بذكر جُملة من الوزراء والكتّاب على عهده، وهم: الوزير أحمد بن سعيد بن حزم، والوزير الكاتب أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد.

ذكر ابن حيان في كتابه وفاة عيسى بن أحمد الرازي، وخبر أبي مُضر زيادة الله بن علي بن حسين التميمي الطبني، وأبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد صاحب الشرطة، والكاتب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الخثعمي، وأبي عثمان سعيد بن عبد الله العروضي الشنتريني، وذكر مِحْنَة حَكَم وعبد الملك ابني منذر بن سعيد البلّوطي، وخبر القاضي أبي بكر

محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد، وذكر وفاة فاتن الحكمي، الخادم المعروف بالصغير وبالخازن، وفصّل في التعريف بأبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي، وذكر شيوخه، وأورد نماذج من خِدع وحِيل صاعد مع الملوك، كما أورد أيضًا قصّة أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي القرشي الزّهري، وقصة المنصور بن أبي عامر مع سجين، وهذه الأخبار كلها لم يذكرها الباحث ورّاد في أطروحته، وهي أخبار ينفرد بها ابن حيان القرطبي عن بقية المؤرخين، وهو ما يؤكد القيمة العلمية للكتاب.

3- 3- أخبار المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر: ثاني حُجّاب الدولة العامرية، وخصّص له ابن حيان نصوصًا تضمنت 9742 كلمة أي 27,75% من مجموع المؤلف، تناولت قيام عبد الملك بن محمد بن أبي عامر بالدولة، وذكر اصطناعه للبربر، ووفود بني زيري بقيادة زاوي بن زيري عليه سنة 392هـ/1001م، وذكر حال هشام المؤيد بالله المحجور عليه من قبل حُجّابه العامريين، وأوضاع النصارى على عهد عبد الملك.

ذكر ابن حيان أيضًا غزوات المظفر عبد الملك؛ ومنها غزوته الأولى، وعلاقته بمملكة جليقية، وأورد خبر وفود رسول الروم إلى المظفر أثناء هذه الغزوة، كما ذكر خبر غزوته الثانية إلى جليقية، وخبر الغزوات الرابعة والخامسة والسادسة، وهي الغزوات التي لم يوردها الباحث وراد في أطروحته، وآخر الأعمال العسكرية لخليفة المنصور غَزَاة العِلَّة التي توفي المظفر على أثرها.

كما وصف مدّة حجابة المظفّر، وذكر إطراء دينه، ونظره في السجون، وصفاته، وبخاصة منها الحَياء والعِفَّة والشجاعة، وذكر منزلة عبد الملك المظفر عند ملوك الأعاجم، وخبر الآفات التي ظهرت في دولته.

كما أورد المؤلف في كتابه خبر الوزير أبي مروان عبد الملك الجزيري، وذكر تسمية الحاجب عبد الملك بالمُظَفَّر بالله، وذكر جَمْعِه الشعراء لوصف الزهور، وخَبَر قتل طرفة الفتى الصقلبي، وخبر قتل المظفر لعبد الملك بن إدريس، وذكرُ مقتلِ عيسى بن سعيد وزير الدّولة وصاحبُه هشام بن عبد الجبّار المُتَهّم بالقيام معه على آل عامر؛ وما انبعثَتْ لذلك من الفتنة المُبيرة، وذكر الرُؤيا المتعلقة بمحنة عيسى، وذكر الشعراء خبرَ قتل عيسى، وذكر حال المظفر في أمور الدولة بعد قتل وزيره، وخبر مقتل هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله المُتَهّم بالقيام على الحاجب العامري، وذكر وفاة الحاجب المظفّر عبد الملك بن أبي عامر؛ الذي لم يرد في أطروحة الباحث وراد، وذكر الوزير أبي مروان عبد الملك بن أحمد

بن عبد الملك بن شهيد القرطبي، وذكر وفاة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الأزدي، وذكر أبي عبد الله محمد بن الحسين التميمي الطبني.

3- 4- أخبار عبد الرحمن شنجول بن المنصور: هو آخر الحُجّاب العامريين الذين أدرجهم ابن حيان في كتابه، وخصّه بنصوص تضمنت 2094 كلمة أي بنسبة 05,96% من الكتاب، احْتَوت على العناصر التالية:

- ولاية عبد الرحمن بن أبي عامر الحِجابة لهشام بن الحكم، وإسراعه إلى تغيير السيرة بالجهل على نفسه.
- ذكر خبر البيعة لعبد الرحمن بن أبي عامر.
- ذكرُ عَقْدِ عبد الرحمن بن أبي عامرٍ لنفسِه ولايةَ عهدِ المسلمينَ على الخليفة هشام بن الحَكَم جَهالةً منهُ.
- ذكر أقوال الشعراء في تهنئة عبد الرحمن بولاية العهد.
- ذكر خبر غزوة عبد الرحمن شنجول شاتية.
- ذكر عجوز الملك هند بنت عبد الرحمن الناصر[26].

من خلال ما سبق تتبين القيمة التاريخية لكتاب أخبار الدولة العامرية؛ حيث يعدّ المصدر الرئيس لتأريخ هذه الدولة التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399هـ/976-1008م في ظلّ وجود خليفة أموي عاجز عن القيام بالمهمة التي أوكلت إليه بسبب صغر سنه، واستبداد محمد بن أبي عامر بالسلطة الفعلية؛ كما يتضمن الكتاب معلومات ينفرد بها على غرار أخبار الشهود الذين بايعوا هشام المؤيد بالله، والتي لا نجد لها ذكرا في بقية المصادر، إضافة إلى انفراده أيضا بذكر غزوات المنصور بن أبي عامر كاملة بسنوات حدوثها ومواطنها ونتائجها؛ بينما اكتفت بقية المصادر بذكر البعض منها؛ كما فعل العُذري في كتاب ترصيع الأخبار؛ أو ابن عذاري في البيان المغرب، واكتفى بقية المؤرخين بذكر عددها عند قولهم بلغت عدّة غزواته خمسين غروة ونيفا، إضافة إلى أخبار عن الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي عاشتها الأندلس في المدة المؤرخة أعلاه، والتي سترد مفصلة في النص المحقّق.

4- مصادر ابن حيان في كتاب أخبار الدولة العامرية: تنوعت المصادر التي استقى منها ابن حيان معلوماته حيث اعتمد بالدرجة الأولى على الرواية الشفهية؛ التي أخذها عن مقربيه ومكاتبيه، وهم أشخاص توافرت لديهم: المعرفة بالحدث؛ والثقة فيما يوردون من أخبار؛ فدون الكثير برواية هؤلاء[27]، كما استند لآثار من تقدّمه من الإخباريين والمؤرخين.

حرص ابن حيان عند إيراده لرواية ما على ذكر المصدر الذي استقى منه الخبر مباشرة في البداية، وقد اعتمد على والده خلف بن حسين بالدرجة الأولى؛ كونه كان كاتبا للمنصور ابن أبي عامر، وكان مصدرا تاريخيا مهما في كتاب "أخبار الدولة العامرية"، حيث أخذ عنه ابن حيان عديد الروايات الهامة والمفصّلة، نورد على سبيل المثال منها ذكره لجود وكرم المنصور ابن أبي عامر حيث قال في بداية روايته: "حدثني أبي خلف بن حسين قال: ..."[28].

وأخذ عنه أيضا سنة مهلك جعفر المصحفي؛ حيث قال ابن حيان: "وكان مهلك جعفر فيما أخبرني به أبي خلف بن حسين سنة اثنتين وسبعين"[29].

وقال أيضا: "أخبرني أبي بعظيم ما شاهده من صرامة تلك المرأة لابن أبي عامر وولده"؛ ويقصد بها السيدة صبح[30].

وحتى عند اقتباسه عن غير والده كان ابن حيان يحرص على أن يُبيّن لنا المصدر الذي أخذ عنه؛ حيث يذكره ويُعرِّف به؛ فمثلا نجده عند ذكره لخبر مظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد ابن أبي عامر على المُصْحَفي يقول: "أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر؛ قال: سرت مع محمد ابن مسلمة[31] ثقة ابن أبي عامر إلى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان إلى أهله..."[32].

يتضح لنا أن ابن حيان القرطبي كان يعتمد في مصادره الشفهية على الأشخاص المعاصرين للحدث، وهذا ما جعل كتاب "أخبار الدولة العامرية" من المصادر الهامة في التاريخ الأندلسي لما يحمله من أخبار منقولة من مصادر موثوقة وعايشت الحدث

كما اعتمد أيضا في مصادره على المُكاتبات التي كانت ترد إليه من أصدقائه ومكاتبيه؛ الذين كانوا يتمتّعون بالدقّة والأمانة؛ فنجده يصف لنا أحد مصادره قائلا: "كتب إلي أبو القاسم محمد بن مرشد أحد بقايا وجوه الكتاب المُستأخرين المُتمتِّعين بالنظر والمعرفة؛ مُعرِّفا بأشياء سألته عنها من هذا الباب..."[33]، وكان هذا النقل عن مبلغ الجباية أيام الحاجب المنصور ابن أبي عامر.

وحتى عند اقتباسه من الكتب يذكر ذلك؛ مثل ذكره لبعض الأقوال المغرضة عن ابن أبي عامر؛ حيث قال: " وقرأت في بعض الكتب"[34].

واعتمد أيضا على بعض المؤرخين؛ كابن الفرضي الذي كان فقيها عالما؛ عارفا بعلم الحديث والأدب، وتقلّد قراءة الكتب بالدولة العامرية[35]؛ حيث قال ابن حيان عند تعرّضه لذكر الوزير أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد القرطبي: "وجدت بخط أبي الوليد ابن الفرضي..."[36].

إضافة إلى اعتمد ابن حيان على تسجيل ما شاهده مباشرة، وهذا عند إيراده لرواية مقتل سعيد بن عيسى القطاع سنة 397هـ/1006م من طرف الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر؛ حيث قال: "وكنت في جُملة من نظر إليه، واستبنتُ الضربة بخدّه الأيمن"[37]، وأيضا في وصفه لموكب الحاجب المظفر العامري أثناء خروجه لغزو أراض قشتالة سنة 398هـ/1007م، يقول ابن حيان: "عهدي به يوم فصوله لغزوته سنة ثمان وتسعين؛ التي احتفل فيها لشانجة بن غرسية قومس قشتالة، واستكثر فيها من العدة والعدد؛ فبرز على جواده من مقرباته المنسوبة؛ فأفخم تلك المراكب المسلسلة، ولبوس درع فضية مطرزة بالذهب، وعلى رأسه خوذة مثمنة الشكل، محددة الرأس، مرصعة الطرق بدرّ فاخر، واسطته حجر ياقوت أحمر مرتفع القيمة، قد لزم وسط الجيش وطرح الشعاع على سنة وجهه..."[38] ؛ حيث نلاحظ براعة ابن حيان في التصوير؛ ودقته في الوصف؛ لأنه اعتمد على حاسته المبصرة وملكته التاريخية الفذة، بوصفه شاهد عيان[39].

وكان ابن حيان يحرص على ذكر المصدر الذي استقى منه الخبر، وترتيبه على حسب من أخذ عنه كما ورد عند ابن الخطيب عند ذكره خبر تنبئ ابن أبي عامر بهدم الزاهرة؛ حيث قال: "حدّث أبو مروان ابن حيان عن أبيه عن أحمد بن سعيد بن حزم[40] وزير ابن أبي عامر الأخصّ به؛ قال: كنا معه يوما بالزهو؛ وهو مركب النزهة في النهر بين يدي قصر الزاهرة في نفر من خاصته..."[41].

وكان يقوم بتعريف المصادر التي اعتمد عليها ونقدها، والتعريف بأصحابها والمهن التي يشغلونها؛ فمثلا عند ذكره لخبر تسليم جثة المصحفي؛ قال: "أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر..."[42]، وعند تعرّضه للأوضاع الاقتصادية للدولة العامرية أيام المنصور ابن أبي عامر قال: "كتب إلي أبو القاسم محمد بن مرشد أحد بقايا وجوه الكتاب المُسْتَأخرين المتمتعين بالنظر والمعرفة على كبر السن؛ مُعرّفا بأشياء سألته عنها من هذا الباب سنة 436هـ/1044م؛ أثبتها نقلا من كتابه وهي:.."[43].

وقال أيضا في نفس السياق: "وكتب أبو محمد عبد الله بن مروان آخر حذاق كتاب المحاسبة اليوم، وممن لحق طرفا من تلك الدولة أن محمد بن أبي عامر..."[44].

ومما سبق يتضح لنا مدى توفيق ابن حيان في استخدامه لمختلف المرجعيات؛ سواء الروايات الشفهية؛ أو المُكاتبات الموثوق في مصدرها، أو حتى المؤرخين الذين سبقوه؛ بالإضافة إلى مُشاهداته المباشرة، وهو بهذا حفظ لنا أخبارا قيّمة لم ترد عند غيره من المصادر المعاصرة له، بل كان مصدرا موثوقا لمن جاؤوا من بعده.

5- منهجية ابن حيان في كتابة "تاريخ الدولة العامرية": رأى ابن حيان اختلافا في مناهج الكتابة التاريخية التي اتبعها المؤلفون في المشرق والأندلس من قبله[45]؛ فمنهم من اتبع المنهج الحولي أي التأريخ حسب التسلسل الزمني، وهو منهج له مزاياه المتعددة، لكن في نفس الوقت له سلبيات إذ أن المؤرخ كثيرا ما يضطر لقطع وحدة الأخبار والأحداث[46]، ومنهم من اتبع منهج التأريخ على حسب الدول، أي الكتابة عن كل دولة على حدى، وهذا ما سار عليه ابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ويزيد بن محمد الأزدي في تاريخ الموصل، ومنهم من اهتم بالتأريخ للجانب الثقافي مع الاكتفاء بمقدمة قصيرة عن الجانب السياسي، وهذا ما جاء على سبيل المثال في كتب التراجم.

ومن خلال تتبع المادة التاريخية المتعلقة بكتب أبي مروان، نلاحظ أنه اتبع منهجا مخالفا لكل المناهج التي أتت من قبله، وكان مميزا بحد ذاته، إذ أنه قام بمزج كل المناهج في منهج واحد، حيث رأى أن كل المناهج التي أتت من قبله تكمل بعضها البعض؛ ولذلك ارتأى أن يستفيد من كل هذه المناهج[47]، ونشاهد أيضا في كتابته بروز الناحية الفلسفية في تفسيره لبعض الظواهر والأحداث التي أرّخ لها، وهو ما جعل مصطفى الشكعة يصفه بقوله إنّه: "كان هاضما فلسفة التاريخ؛ وليس مؤرخا وحسب؛ فهو يقدم الأسباب؛ وينتهي إلى النتائج، وقد فرض شخصيته المُجرّبة وحاسته المُبصرة، واستنباءاته البديهية على قلم تملك أسباب التعبير الدقيق والأسلوب المتين"[48].

كما أنه تجنب اللغة المألوفة التي جرى المؤلفون والعلماء على استعمالها حين يكتبون؛ فعمد إلى استعمال لغة أدبية راقية جعلت من كتبه أقرب شيء إلى أدب ممزوج بالتاريخ[49]، وهذا ما لمسناه في كتابته عن الدولة العامرية.

إن ما وصلنا في مؤلفات المؤرخين الذين نقلوا ما كتبه ابن حيان عن "أخبار الدولة العامرية" المفقود لا يُسعفنا بمادة كافية لجعلِنا قادرين على رسم صورة متكاملة وواضحة عن المنهج الذي سار عليه ابن حيان في تأليفه؛ ولكن من خلال جمع ما أمكننا من النصوص المتعلقة بهذا الكتاب وترتيبها، يمكن أن نتَبيَّن شيئا من المنهجية التي اتبعها المؤلف؛ حيث نلاحظ أنه اعتمد على المنهج التاريخي الموضوعي والحولي والتحليلي والتراجمي.

امتاز ابن حيان عموما بتحرياته ودقّته وتوثيقاته وشمولية كتاباته؛ حتى وصفه الغسّاني بالصدق فيما حكاه في تاريخه[50]، وقد لاحظنا حرص ابن حيان على ذكر الأحداث التاريخية التي مرت بها الدولة العامرية، والتفصيل فيها بداية من بيعة هشام المؤيد بالله،

وتولي المنصور ابن أبي عامر الحجابة، وكل الأحداث التي مرّت بها دولته إلى غاية تولي ولديه الحجابة من بعده.

كما امتاز أبو مروان في كتابته بالحسّ النقدي؛ فمثلا عند تناوله لموضوع أخذ العهد من الحكم المستنصر بالله لولده هشام، الذي كان صغيرا ولا يصلح لولاية أمر المسلمين، بالرغم من وجود المؤهلين لهذا الأمر من إخوته، سجل هذا الخبر تسجيلا تاريخيا أمينا، حيث أعطى لشخصية المستنصر بالله حقّها من الإشادة بمزاياها، ولكن أعاب عليه تصرفه هذا، ونقده نقد البصير بأمور السياسة، الخبير باستقراء أحداث التاريخ[51]؛ كما أنه كان شديد الحرص على تتبع من ترجمهم من الشخصيات، وما طرأ عليهم من تطورات ومن مراتب تدرجوا عليها.

رغم حياته في كنف دولة بني عامر؛ ثم دولة بني جهور إلا أن ابن حيان ظلّ مؤرخا مستقلا ولم يكن مؤرخ بلاط، ولذلك تحرّى الحقيقة التاريخية، وكان ناقدًا لاذعًا للأحداث التي عاشها في الأندلس منذ نعومة أظافره إلى توقفه عن الكتابة سنة 463هـ/1070م، حيث قال: "وبعد فإني امرؤ يسرت لطلب هذا الخبر، واقتفاء هذا الأثر، أحرس شارده، وأقيد نافره، وأبيت بأبوابه، وأنصب لطلابه؛ فشغلت به دهرا، وفجرت منه نهرا، صيّرني تربا لعدنان، وزماما على الحدثان، أقُصُّ أنباءه، وأضرب أمثاله، وأُحصي وقائعه، وأحترز مواعظه، وأنسأتني المدّة إلى أن لحقت بيدي منبعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمّة، المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤثّلة، المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية؛ ففاضت أهوالها تعاظما أدلهمني عن تقييدها، ووهمني ألا مخلص منها؛ فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها نفس الخناق، وبلل الرماق؛ فاستأنفت من يومئذ تقييد ما استقبلته من أحداثها، وأنعمت البحث عن ذلك عند من بقي يومئذ من أهل العلم والأدب لدينا؛ فلم أظفر منه إلا بما لا قدر له، لزهد من قبلنا قديما وحديثا في هذا الفن، ونفيهم له عن أنواع العلم. وانثنيت خائبا خجلا ألوم نفسي على التقصير، وأحدوها بالأمل، وأعذر من قال: "هممت ولم أفعل"، وشرعتُ في التقييد غِبَّ ذلك التفنيد، غير مخل به، ووصلت القول فيما فاتني من قبل من ذكر انبعاث تلك الفتنة وأخبار ملوكها، ومشهور حروبها مما أصبت به عندي تذكرة، أو أخذته عن ثقة، أو وصلتني به مشاهدة، أو حاشته إليّ مذاكرة، حتى نظمت أخبارها إلى وقتي مكمّلة، وجئت بها على وجوهها، وأوردتها على سبوغها..."[52].

وإذا كان ابن حيان مجرد جامع لتاريخ الأندلس من فتحها إلى وفاة الحكم المستنصر بالله؛ فإنه كان شاهد عيان عاصر أحداث الأندلس أو نقل عمّن عاصر أحداثها؛ وبخاصة ما

تعلق منها بأحداث الدولة العامرية؛ حيث كان والده وزيرا للمنصور بن أبي عامر؛ والمصدر الأول لمادته الخبرية، وهذا ما يصوّر ملكة ابن حيان الإخبارية منذ هذه الفترة من حياته، ويؤكد ذلك محقق كتاب المقتبس محمود علي مكي؛ حين يقول: "إذ كان في العشرين من عمره، ويبدو كما لو كان من رجال الصحافة في عصرنا الحاضر، ممّن يشعرون أن واجبهم هو تسجيل الحدث لحظة وقوعه مباشرة"[53].

ولم يُجانب محمود علي مكي الصواب في تشبيه ابن حيان بالصحفي في عصرنا؛ حيث يؤكّد ذلك دقّة الصورة الخبرية التي يرسمها ابن حيان للأحداث التي سمع عنها؛ أو كان شاهدا على حدوثها، ولتأكيد ذلك نورد هذين المثلين:

قام ابن حيان بتسجيل ما شاهده مباشرة في فترة حجابة عبد الملك المظفر، ومن ذلك إيراده لخبر مقتل سعيد بن عيسى القطاع سنة 397هـ/1006م من قبل الحاجب عبد الملك بن المنصور ابن أبي عامر؛ حيث قال: "وكنت في جملة من نظر إليه، واستبنت الضربة بخده الأيمن"[54]، وهو تأكيد لدقة الوصف.

وقال أيضا عن المظفر، وهو في إحدى غزواته إلى قشتالة سنة 398هـ/1007م: "عهدي به يوم فصوله لغزوته سنة ثمان وتسعين التي احتفل فيها لشانجة ابن غرسية قومس قشتالة، واستكثر فيها من العدة والعدد؛ فبرز على جواد من مقرباته المنسوبة بأفخم تلك المراكب المسلسلة؛ ولبوس درع فضية مُطرَّزة بالذهب، وعلى رأسه خوذة مُثمَّنة الشكل؛ مُحدّدة الرأس؛ مُرصَّعة الطرق بدُرٍّ فاخر؛ واسطته حجر ياقوت أحمر مرتفع القيمة؛ قد لزم وسط الجيش، وطرح الشعاع على سنة وجهه؛ فما رأى الناس بعده ملكا يعدله في البهاء والبهجة"[55].

إن هذا الوصف الدقيق يبين ملكة ابن حيان في تصوير الأحداث التاريخية؛ بشكل يجعل القارئ وكأنه يرى الصورة بأم عينيه.

6- القيمة العلمية للكتاب (الجغرافية- السياسية- الاقتصادية- الاجتماعية- الدينية): يعتبر أبو مروان ابن حيان من أعظم مؤرخي الأندلس، وتعتبر مؤلفاته من المصادر الأساسية لتاريخ العدوة الأندلسية؛ بخاصة وأنّه اعتمد على أبرز المؤلفات التاريخية للأندلسيين في كتاب المقتبس، وكان شاهد عيان بالنسبة لبقية مؤلفاته (المتين- أخبار الدولة العامرية- البطشة الكبرى)؛ وعليه تكتسي كتاباته قيمة علمية كبيرة إذ لا يمكن التأريخ للأندلس دون الرجوع إليها؛ فما هي قيمة كتابه "أخبار الدولة العامرية"؟

باعتباره شاهد عيان عاصر الدولة العامرية؛ إضافة إلى اعتماده على شهود عيان عاصروا هذه الدولة، ومنهم والدة خلف كاتب المنصور مؤسس الدولة؛ ومُرافقه في غزواته ضد أعدائه، أورد المؤلف أخبارًا في غاية الأهمية، ينفرد بها عن غيره من المؤلفين المعاصرين؛ اعتمد عليها كل من جاء بعده من المؤرخين، ومن ذلك على سبيل المثال: بيعة هشام المؤيّد بالله التي انفرد ابن حيان بذكر من شهدها من الفقهاء والقضاة والأعلام، وبلغ عدد هؤلاء الشهود مائة وأربعين شخصية أغلبها من القضاة والمُشاوَرين والوزراء، كما ذكر مهامهم الرسمية ومؤلفاتهم العلمية، كما انفرد بذكر بدايات المنصور ابن أبي عامر، وصعود نجمه إلى غاية الوصول إلى قصر الخلافة في مدينة الزهراء.

ومن الأخبار الهامة الواردة في الكتاب: ذكر ابن حيان للمؤامرات التي وقعت داخل القصر الخلافي عقب وفاة الحكم المستنصر بالله، والتي تزعمها الصقالبة، ودور محمد بن أبي عامر في بيعة هشام، إضافة إلى التحالفات السياسية التي قامت بين كبار رجالات بني أمية، ودهاء وحنكة المنصور في التخلّص من كل أعدائه؛ ومنها أيضا حروب المنصور في بلاد المغرب ضد الأدارسة بقيادة الحسن بن قنون، والزناتيين بقيادة زيري بن عطية، وهي الحروب التي انتهت ببسط سلطان الأندلس على المغرب الأقصى؛ وما والاها إلى سجلماسة؛ وعلى تلمسان وتيهرت.

انفرد ابن حيان أيضا بذكر كل الغزوات التي قادها المنصور محمد بن أبي عامر ضد أعدائه من نصارى الأندلس؛ إذ أن المصادر الأخرى لم تذكر إلا عددا محدودا منها، حيث يذكر المؤلف اسم كل غزوة وتاريخها ووجهتها ونتائجها؛ إضافة إلى أخبار أخرى تتعلق بمصير الدولة بعد وفاة المنصور.

تضمن الكتاب كذلك أسماء الكثير من المواقع الجغرافية الأندلسية؛ التي لا نعرفها إلا من خلاله؛ ومنها مواقع كثير من المعارك التي خاضها المنصور وابنه المظفر ضد نصارى شمال الأندلس؛ إضافة إلى معلومات عن المدن الأندلسية على عهده؛ ومنها مدينة الزاهرة التي بناها مؤسس الدولة العامرية، ومدينة قرطبة على عهده حيث يذكر أرباضها وعِدَّة مساجدها وحمّاماتها.

أورد المؤلف أيضا معلومات هامة عن الأوضاع الاقتصادية في العدوة الأندلسية على عهد الدولة العامرية، ومنها الأوضاع المالية؛ حيث أورد ابن حيان في كتابة تفاصيل الجباية على عهد المنصور بن أبي عامر، وكمية الحطب التي كانت تدخل مدينة قرطبة كل يوم.

كما أورد ابن حيان في كتابه معلومات هامة عن نسب المنصور ابن أبي عامر، ومُساهمة قبيلة مَعافِر اليمنية- التي ينتسب إليها- في الفتح الإسلامي للأندلس، وأخرى عن الصقالبة الذين ازداد نفوذهم على عهد المستنصر بالله؛ إلى درجة أنهم أرادوا تنصيب خليفة لم يقم الحَكَم بتوليته العهد قبل وفاته، إضافة إلى دور النساء في قصر الخلافة، وتُمثِلُهنّ السيدة صُبْح البشكنسية التي كانت وراء تعيين ابنها الطفل هشام خليفة على الأندلس رغم وجود إخوة الحَكَم البالغين.

تضمّن الكتاب أيضا تراجم لأعلام برزوا على عهد العامريين؛ ومن أبرزهم: صاعد بن الحسن الربعي صاحب كتاب الفصوص؛ إضافة إلى إيراد كثير من الأشعار التي جادت بها قريحة الشعراء المُعاصرين لهذه الدولة، الذين أرّخوا بأشعارهم للأحداث البارزة التي عايشوها في كنف حكام الدولة العامرية.

خاتمة: يعتبر كتاب أخبار الدولة العامرية من أهم مؤلفات ابن حيان، ويعدّ المصدر الرئيس لتأريخ هذه الدولة التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399هـ/976- 1008م، وقد ورد ذكره عند المؤرخين القدامى والمحدثين، وإن كان هؤلاء قد أجمعوا على موضوعه؛ فإنهم اختلفوا في كونه قسمًا من "التاريخ الكبير" لابن حيان أو أنه كتاب مستقل عنه، غير أن ابن الأبار وفّر علينا مؤونة البحث والتخمين، وترك لنا الخيار بين ضمّه أو خزله من كتاب "التاريخ الكبير".

- تضمّن كتاب "أخبار الدولة العامرية" الأحداث التي وقعت بالأندلس في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم، إلى غاية قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن شنجول ابن أبي عامر المنصور سنة 399هـ/1008م.

- احتوى الكتاب معلومات انفرد بها ابن حيان عن غيره مثل إيراده لأسماء الشهود الذين حضروا بيعة هشام المؤيد بالله، والتي لا نجد لها ذكرا في بقية المصادر، وأغلبهم من القُضاة والمُشاوَرين، وبلغ عددهم مائة وأربعين (140) شاهدًا ذكرهم بأسمائهم ووظائفهم وشيوخهم ومؤلفاتهم.

- انفرد المؤلَّف أيضا بذكر غزوات المنصور بن أبي عامر كاملة بسنوات حدوثها ومواطنها ونتائجها بينما اكتفت بقية المصادر بذكر البعض منها كما فعل العُذري في كتاب ترصيع الأخبار أو ابن عذاري في البيان المغرب، واكتفى بقية المؤرخين بذكر عددها مثل قولهم بلغت

عدّة غزواته خمسين غزوة ونيفا، كما انفرد بذكر بدايات المنصور ابن أبي عامر، إلى غاية وصوله إلى قصر الخلافة في مدينة الزهراء.

الهوامش:

1- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/1998م- ج1 ص358.

2- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد- مقدمة ابن خلدون- ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني- دار الكتاب العربي- بيروت- 1425هـ/2004م- ص4.

3- ابن حيان القرطبي أبو مروان حيان بن أبي القاسم خلف بن حسين بن مروان - المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1393هـ/1973م- مقدمة التحقيق- ص26.

4- الشكعة مصطفى- أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ- مجلة المناهل- عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس- وزارة الثقافة- الرباط- العدد 29- السنة 11- جمادى الثانية 1404هـ/مارس 1984م- صص144- 187- ص151.

5- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985م- ج1 ص269.

6- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص77.----7- ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- ج1 ص269.

8- المصدر السابق- ج1 ص278.----9- المصدر نفسه- ج1 ص278 الهامش 2.

10- ابن الأبار القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت658هـ/1260م)- إعتاب الكتاب- حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- ط1- 1380هـ/1961م- ص198.

11- عبد الواحد المراكشي أبو محمد بن علي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2006م- ص37.

12- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1425هـ/2004م- ص109/الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2005م- ص245/ابن بشكوال الأنصاري أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود- الصلة- ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1429هـ/2008م- م1 ج1 ص127/المقري- المصدر السابق- ج4 ص167.

13- ابن حزم القرطبي علي بن أحمد بن سعيد- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي- تحقيق إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط2- 1987م- ج2 ص184.

14- ابن حيان- المقتبس- مقدمة التحقيق- ص77.

15- ابن الخطيب السلماني لسان الدين- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1426هـ/2006م- ص48.

16- المصدر نفسه- ص98.

17- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص77.----18- نفسه- مقدمة التحقيق- ص76-77.

19- المقري أبو العباس أحمد بن محمد- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- دراسة وتحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ج1 ص382.

20- Boigues Francisco Pons- Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geograficos Arabigo Espanoles- Biblioteca Nacional- Ollero y Ramos-Madrid- 1993- p153.

21- بالنثيا آنخل جنثالث- تاريخ الفكر الأندلسي- نقله عن الإسبانية حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط2- 1429هـ/2008م- ص245- 246.

22- Maria Luisa Avila- la proclamacion (bay'a) de Hisam II Ano 976 d.c- Al-Quantara- Madrid- 1980- Vol I- fasc 1 y 2- p.83.

23- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص84-89.----24- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص127-128.

25- ابن حيان القرطبي- أخبار الدولة العامرية- جمع ودراسة وتحقيق هاجر بوباية- أطروحة دكتوراه غير منشورة- قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران1- 1441هـ/2020م- صص71- 74.

26- الشَنآن: شنأه شَنْئًا وشَنَآنا أبْغَضهُ وتَجَنَّبه. مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426هـ/2005م- ص495.

27- زناتي أنور محمود- حامل لواء التاريخ في الأندلس ابن حيان القرطبي- مرايا للطباعة والنشر والتوزيع- دبي- 2017م- ص95.

28- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص39.

29- المصدر نفسه،ج4 ص42.----30- المصدر نفسه- ج4 ص45.

31- هو محمد بن مسلمة بن سعيد بن بتري الأيادي، من أهل قرمونة، سمع بقرطبة من عبد الله بن يونس وقاسم بن أصبغ، وخرج حاجا سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (950م)، وتوفي منصرفا من أرض الحجاز. ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي- تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1427هـ/2006م- ص57.

32- المقري- المصدر السابق- ج4 ص77/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1ص259/ ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س. كولان- إ ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009م- ج2 ص270-271.

33- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص98.----34- ابن عذارى- المصدر نفسه- ج2 ص280.

35- القعايدة خالد حسن مطر- ابن حيان القرطبي ودوره في كتابة التاريخ الأندلسي(377- 469هـ/987-1076م)- أطروحة دكتوراه- جامعة مؤتة- الأردن- 2006-2007م- ص143.

36- ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص3.----37- ابن بسام- المصدر السابق - م1 ص78.

38- المصدر نفسه- م1 ص78.----39- شعيب عبد الواحد عبد السلام - الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف- دار الأمان- الرباط- المغرب- ط1- 2014م- ص383.

40- هو أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو عمر الوزير، والد الفقيه أبي محمد ابن حزم، وزير الدولة العامرية، من أهل العلم والأدب والخير، كان بليغا، وتوفي كما ورد عند الضبي قريبا من الأربعمائة، أما ابن بشكوال فقد ذكر نقلا عن ابن حيان بأنه توفي سنة 402هـ/1011م، وهي الأرجح. لمزيد من التفاصيل ينظر: الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت599هـ/1202م)- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2005م- ص169-170/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص24/خير الدين الزركلي- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- ط8- 1989م- ج1 ص130.

41- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص80.---42- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص43.

43- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص98.---44- ابن الخطيب- المصدر نفسه- صص98-104.

45- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص85.-----46- المصدر نفسه- ص85.

47- المصدر نفسه- ص86.---48- مصطفى الشكعة- المرجع السابق- ص181.

49- ابن حيان- المصدر السابق- ص175.

50- ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- حقق أصوله وكتب هوامشه يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط2- 1433هـ/2012م- م2 ص188.

51- ابن حيان- المصدر نفسه- ص175.

52- ابن بسام - المصدر السابق- ج1 ص358.

53- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص29.

54- ابن بسام- المصدر نفسه - ج1 ص78.----55- ابن بسام- المصدر السابق- م1- ص60